

فقد يكون حب !!
وفقد يكون عشق !!
ولكنه بكل تأكيد
وشم

وشم
على قلبي
والسبب
أنت ..

حبك ..
وفقد يكون
اللاتمان معا
فترفق بقلب
ذاق حبك
ونألم لبعدك !!

عشق وشم الروح

randa adel

روايات
الروايات الرومانسية
des : duha



عشق وشم الروح

راندا عادل

حصرياً لجروب روائع الروايات الرومانسية

https://www.facebook.com/groups/rawae3rewayat/?ref=group_header

ولا تنسوا الانضمام لمنتدى روائع الروايات الرومانسية

<http://raw2e3.yoo7.com/>





عشق وشم الروح

بقلم:

راندا عادل

غلاف خارجي وداخلي:

ضحى حماد

تدقيق، تنسيق، تعبئة، ورابط تحميل الكتروني:

ديدي





قد يكون حب!!
وقد يكون عشق!!
وقد يكون جنون!!
ولكنه بكل تأكيد

وشم

وُشمَ على قلبي

والسبب

أنت..





حبك..

وقد يكون

الاثنان معاً

فتفرق بقلب ذاق حبك

وتألم لبُعدك!!





بخطوات واثقة.. قوية.. كانت تخطو لداخل المشفى الكبير... فاليوم هو
الأول لها.. ستستلم عملها بعد أن تم اختيارها من قبل جهة عملها بالخارج؛
لرغبة هذه المشفى طبيب في اختصاصها، والذي تفوقت فيه بكل جدارة ..
مما جعلها أقرب وأول اختيار لهذا المنصب ..
لقد عادت بالأمس فقط من الخارج .. وها هي الآن تقف أمام سكرتارية مدير
المشفى ..

هتفت بتهذيب: " مساء الخير .. هل أستطيع مقابلة السيد عماد؟ "
ردت السكرتيرة بابتسامة ونبرة عملية: " أهلا بك .. أخبره من ؟ "
" الدكتور إيلاف بكر "





في مكان آخر ولكن في نفس المشفى .. يجلس طبيب بكل وقار وهيبة ..
وجاذبية .. طبيب تخطى الأربعين بسنة، أو سنتين، لديه بعض من الشعيرات
البيضاء التي تكسبه هيبة فوق هيبة ..

يضع نظاراته الطبية على عينيه، يمسك بيده اليمنى قلم من الجاف، يرسم به
بعض العلامات الطبية الجانبية،

قاطع ما يفعله رنين هاتفه ..

ابتسم بجاذبية ما أن رأى اسم المتصل ..





فتح الاتصال قائلاً: " حور حبيبتي .. هذا رابع اتصال للآن "

وصله صوتها الطفولي قائلة: " اشتقت لك .. ماذا أفعل؟ .. "

ضحك مقهقها .. وقال بحب خالص لها: " وأنا أيضا اشتقت لك حبيبتي .. ماذا
تفعلين ؟! "

" كنت أَلعب قليلا على الهاتف ولكن سئمت .. فقررت سماع صوتك "

يا إلهي .. لولا وجودها بحياته، لا يعلم ماذا كان سيحدث له .. فهي النسمة
الناعمة التي صبغت ولونت حياته بكل الألوان المبهجة ..

فقال بمهادنة: " حسنا .. ما رأي أميرتي أن تتركني للعمل .. وأتي لها بهدية عند
عودتي ؟! "





وصله صوتها الناعم الفرح بصخب: "ممم .. أي هديّة ؟"

" أي هديّة حبيبتي "

قالها برضى، قابله بأمر محبب لقلبه: " عروس لأميرة من أميرات ديزني "

" أهلا دكتورة إيلاف .. تفضلي "

قالها الرجل بترحاب بعد أن مد يده بسلام إليها .. وبعدها أشار للكرسي أمامه؛
لتجلس إيلاف بعنفوان مدمر، وثقت تحسدها عليها الكثيرات، ثقت امتلاكها
من سنين عمرها ..





امتلاكها بسبب حادثة بسيطة .. ومشابهة لكثير من حكاوي المراهقات...
فبسبب عدم ثقتها قديماً.. قضت على أهم حلم لها .. حب .. كان بالنسبة لها
حياة .. والآن هي فقدت الحياة ..

" متى أستطيع تسلم العمل؟.. "

ابتسم السيد عماد برزانة تحكمها سنيه، وقال: " الآن إن أردتِ "

" يكون أفضل "

" فليكن "

استقام معها وسار بها بين طرقات المشفى .. وتدور عينيها هنا وهناك تتعرف
على محيطها .. حتى وصلت لقسم الجراحة العامة ..





وقفت تتأمل المكان بتقييم حتى أخرجها من عمليتها، هاتف السيد عماد
معلنا عن مكالمته .. فاستأذن منها ..

وقال قبل أن يتحرك مشيرا لغرفة بعينها: " ادخلي لهذه الغرفة وانتظريني
بالداخل .. وبالداخل ستجدين الدكتور رائف مدير قسم الجراحة .. هو في
انتظارك "

قال كلماته غير واعي للواقفة بتحجر، قلبها انتفض مكانه حين سمعت الاسم
..

كمن ينتفض من ماس كهربائي .. سرعان ما عادت لجمودها .. واقنعت نفسها ..
" ليس كل رائف هو .. بالتأكيد ليس هو .. بالتأكيد تشابه أسماء "





شهيق وزفير عليها تهداً ..

" اهدئي إيلاف "

قالت لها لنفسها وبعد لحظات كانت تطرق باب الغرفة المقصودة، والتي لم تكن
سوى باب لغرفة درس الماضي..

كان يقف مستند على جدار نافذة غرفته .. ينظر للشارع الصاخب نسبياً،

لوجود هذه المشفى به ..

سمع طرقات على باب الغرفة ..





فقال مجيباً دون أن يلتفت: " تفضل "

كانت تخطو بتوتر نحته جانباً، وخطت للداخل بعد أن سمعت إجابته ..

رأت رجل يقف يعطيها ظهره، فقالت بصوت ثابت قليلاً مكذباً إحساسها: " صباح الخير "

وعلى نغمته صوتها التفت .. التفت ويا ليتها ما التفت .. لفترة كانت لها القاضية على ثباتها ..

كانت القشرة لجدران الجليد حول قلبها .. اختنقت أنفاسها بصدرها .. وقلبها ...
قلبها !!

لا تشعر بدقاته !! .. هل توقف من كثرة ما يشعره ..





شهيق وزفير كما تعود؛ ولكن أنفاسها لا تخرج.. شهقت بأنفاسها واضعة يدها
على صدرها تدلكه ..

هرع إليها سريعاً .. ممسكاً بها .. قائلاً: " هل أنت بخير ؟ "

لا لست بخير أبداً .. كيف أكون بخير وأنت هنا .. أمامي بعد هذه السنين ..
كيف سأكون بخير وأنت أنت ..

كيف سأكون بخير وأنت بهذا القرب .. كيف سأكون بخير وأصابعك
الدافئة تحتضن يدي للمرة الثانية،

وبين المرة الأولى والثانية، سنين ظننتها محت تأثير أصابعك في المرة الأولى

..





لقد ظننت أنها نسيت إحساسها وقت أن التفت أصابعه حول كفها من سنين
مضت ..

حين كانت مجرد طالبة جامعية، كادت تدهسها سيارة ولكنها وجدت نفسها
تُجذب بعيداً عن مسار السيارة، قبل أن تلقي حذفاً بفعل يد التفت حول أصابعها
.. وما كانت هذه اليد لسواك...

وتمر الأيام ويأتي ليدرس لها وظلت تتابعه بعينيها.. لالا لا .. بقلبها ..
حتى جاء اليوم الذي أخبرهم فيه أنه آخر يوم له في الجامعة.. كانت صدمته
أوجعتها كثيراً ..





وظلت تبكي بصمت طوال محاضراته الأخيرة.. دموع صماء .. حتى وجدت يدها
بدون وعي منها تخط رسالتة ورقية في كراس محاضراتها،

كانت الصفحة مزينة بقلوب وورود صغيرة كما هي معتادة لفعل ذلك في
صفحات محاضراتها .. كانت أصابعها تكتب دون توقف.. ودموعها تتساقط
منها؛ لتخط صدق مشاعرها تجاهه..

وبعد انتهاء المحاضرة توافد الطلاب، والطالبات لوداعه .. واستقامت تتدأري
بينهم؛ حتى وصلت لمكان وقوفه .. لم يشعر بها ..

ولم يشعر بها أحد.. باعت غصتها .. وظلت واقفة لدقائق تنعم بقرب أضحي
مستحيل..





وحيث همّ ليغادر .. أخرجت ورقتها وبحثت بعينها على مكتبه تبحث عن
مكان لتضع رسالته ليستطيع رؤيتها ..

لكن نظرة واحدة لكرسيه، وجدت حقيبته الطبية الخاصة بعمله في مشفى
يعمل به بعد الجامعة.. وجدت الحقيبة مفتوحة ..

تلقائياً مدت يدها، ووضعت رسالتها تحت السماعة الطبية الخاصة به، وغادرت
قبل أن يشعر بها أحد ..

غادرت وتركت له قلبها بين حروف رسالتها .. قلبها الذي أعلن الرهينة في حبه
.. لم ولن يطمئه حب رجل آخر .. وكان قسم غير مُعلن بالولاء له وبدون علمه ..





وقد كان .. اهتمت بدراستها وفقط .. ورفضت رفض قاطع ومنقطع النظر فتح باب قلبها مرة أخرى .. تفوقت في دراستها حتى جاءتها بعثة تعليمية في الخارج وكانت لها كمفتاح آخر لتأهي نفسها عن قلبها الذي أصبح وظيفته الوحيدة النبض دون الشعور ..

رجعت من شرودها على سؤاله مرة أخرى: "يا مدام .. أنت بخير؟!"

جذبت يدها بعنف غير مقصود وقالت بدفاع: "آنسة لو سمحت "

رفع يديه لأعلى باستسلام، وقال بأسف: "أعتذر عن حماقتي "

أخرجت من توبيخه لنفسه، وأيضا لم تعلم لما غضبت هكذا وكأنه كان يدينها بخيانتها له ..





وكأنها قبلت برجل بعده .. فوجدت نفسها تهتف بدفاع عن قلبها قبل أن يكون
عن نفسها ..

" حسنا .. اجلسي من فضلك.. "

جلست وسرعان ما وجدت مدير المشفى يدخل قائلاً باعتذار: " آسف جداً .. لقد
طال اتصالي.. "

نظرت له بابتسامة غير مرئية من الأساس .. تريد مداراة ارتباكها وتوترها..
تريد صم اذانها عن سماع دقات قلبها المثارة بجنون ..

كان رائف ينظر إليها .. يتابع حركاتها الغير مرتبة وكأنها تريد الهروب من
شيء ..





" مريبت "

هذا أول ما جال بخاطره، مازال ينظر لها

" مجنونة "

ربما أيضا..

كان يحدث نفسه بكثير من الصفات التي تنطبق عليها .. وجميع تندرج حتى
جملة واحدة

" ليست طبيعية أبدا "

شعر بها تزداد شحوباً.. فاستقام من مكانه وتوجه لمبرد صغير بغرفته وجلب
كوب من الماء، وتوجه عائداً إليها ..





"تفضلي"

رفعت نظرها للواقف أمامها، كانت تنظر لملامحه الرجولية الوسيمة ..

"يا الهي لقد ازداد وسامتي"

خفضت عينيها عنه، ونظرت للكوب بيده، مدت أصابعها بتوتر من مجرد تخيل
ملاصته أصابعه ..

زفرت أنفاسها بهدوء وأمسكت الكوب بارتعاش كان يملكها عندما لامست
أصابعها أطراف أصابعه.. ولم يفث عليه هذا الارتعاش..

وكان يتساءل هل هذا كونها آنسة!.. وهل لم تتعامل مع رجال أبداً!..
بالتأكيد هذا مستحيل ..





كان يراقبها ترفع الكوب لضمها تشرب منه بتوتر.. لكنها غصت؛

عندما قال مدير المشفى بهدوء: "دكتورة إيلاف .. الدكتور رائف هو من

سيكون مديرك هنا "

" ماذاااا .. مستحيل ؟؟؟ "

نطقها بذعر؛ مما صدم زوجين من العيون تتابعها فأدركت ما تظوهت به؛ فقال

مصححة لموقفها: " أق .. أقصد أنني لم أصدق .. فقامت مثل دكتور رائف

سيكون شرف لي العمل تحت إمرته "

ومدت الكوب لضمها مرة أخرى، تشرب بهدوء تهرب من أي حديث يخرج منها

يورطها أكثر ..





كانت تتابع الوجهين أمامها من فوق زجاج الكوب .. تراقب هل انطلى كلامها
عليهما..

السيد عماد كان يبتسم بمودة .. ولكن كانت هناك عينان تراقبها بتمعن؛
وكأنه يخبرها بنظراته ..

" لم أصدق ما قلتيه .. وهناك سر وراءك .. وسأكتشفه "

ليلا





ينام على فراش طفلة ممسك بيده كتاب حكايات الأساطير للأطفال .. يقرأ
ويقرأ .. وكل فينة وأخرى ينظر لابنته الممسكة بعروسها الجديدة كما
وعدها ..

عينها تغشاهما النوم؛ لكنها تعاند لتظل مستيقظة .. أعاد نظره للكتاب
واستمر في القراءة .. حتى شعر بهدوء أنفاس طفلة ..

طفلة الجميلة التي جاءت للعالم دون أن ترى والدتها .. فوالدتها توفت حين
ولادتها .. زوجته اللطيفة .. لم يكن يجمعهما الحب الأسطوري والشغوف ..
ولكن ما جمعهما أكثر هو الاحترام المتبادل .. القبول .. إنما الحب بمعناه ..





لا .. ولكنه لا يقوى على إنكار أهميتها بحياته ... لقد ساندته كثيراً حين
كان خارج البلاد شعر ناحتها بانجذاب تلقائي .. ولكنه لم يصل للحب .. فور
ذلك قرر الزواج بها .. وحين أخبرها برغبته ابتسمت ..

وقالت بعملية: " أنت فرصة لا يمكن للعقل رفضها "

حينها تيقن أن علاقته بها لن تتخطى أبداً حدود العقل .. وبدأت حدود العقل
بينهما تكبر وتكبر حين علمت بحملها .. جاءته بكل برود تخبره: "
اكتشفت أنني حامل "

لم يلاحظ برودها في أخباره .. فتألى بسعادته التي خمدت في مهدها حين
أكملت: " لا تفرح هكذا .. سأجهضه "





" ماذا ؟؟ "

تساءل مصدوماً منها ومن قرارها الذي جعله ينتفض من مكانه ممسكا بمرفقها
بقسوة: " أنتِ لن تفعلي هذا "

سحبت مرفقها بقوة من بين أصابعه ..

" هذا الذي ينمو .. بداخلي أنا .. وأنا من له الحق في قرار إذا كنت سأحتفظ به
أم لا "

كلامها والقسوة المغلفة لحروفها .. جعله يفقد النطق .. سمعها تكمل بصراخ:
لم أحقق كل ما أريد .. وكل ما تمنيت .. كيف سأسافر من بلد لآخر .. وأنا
حاملة على كتفي كائن صغير "





تنفس بقوة .. وأخبرها ببرود مماثل لبرودها: " وقتها سأخذ أنا هذا الكائن الصغير الذي سيعيق أحلامك.. وأعدك أن أدعك تحقّقين ما تريدين .. وتتنزهين كيّفاً شئت "

قال آخر كلماته باستهزاء واضح لها ..

وأكمل بإصرار وتهديد: " ولكن إياك والتفريط في ابني .. سأحملك المسؤولية إذا حدث شيء له .. "

وقد كان .. لم تجهّز طفله .. ليس حباً به .. ولا خوفاً من تهديده .. وإنما اكتشاف طبيبها مرض أصاب مناعتها ..





وكان اجهاضها خطر على صحتها هذا إن تم الحمل من الأساس ولم تُجهَض
بسبب مرضها ..

ولكن طفلته كانت متشبثة بدنياه.. وظلت متشبثة حتى تمام الشهر السابع..
حين مرضت والدتها كثيراً ..

اضطر طبيبها توليدها جراحياً .. لكن زوجته لم تبقى حتى لترى طفلتها ..
وقتها حزن للغاية من أجلها .. وأوقات كثيرة يؤنبه ضميره أنه أجبرها على
الاحتفاظ بطفله .. فيستغفر ربه حينها .. فهي من الأساس لم تذعن لطلبه،
وإنما ما أرجعها عن قرارها هو مرضها ..





عاد من شروده ناظرا لطفلته .. قطعة من روحه .. لا بل إنها كل روحه .. كان
يُميت نفسه من أجل أن تظل سعيدة ..

من أجل أن يرى ابتسامتها .. من أجل أن لا تشعر أنها " يتيمة "

استقام من مكانه بعد أن طبع قبلة على جبينها .. داعياً من كل قلبه أن
يحفظها الله له ..

غادر لشرفة غرفته .. توقف ينظر لليل في سكونه .. وحين شروده .. ترأى له
خيال أنثوى رآه اليوم للمرة الأولى .. ولا يعلم سر الألفة فيها ..

" الألفة! .. "





ابتسم من نفسه.. حتى اسمها مشتق من الألفزة .. قطب بين حاجبيه بغموض لا
يعرف سره حين تذكر جميع ما حدث منها من ردود أفعال غريبة اليوم..
تنهد بعمق .. وقال لنفسه بصوت مسموع قبل أن يدلف لفراشه..
" لنرى ماذا تُخبئين دكتورة إيلاف الغريبة "

أما عندها فقد كانت جالسة .. تشعر بالحنين .. وشعورها هذا يجعلها ممزقة ..
كيف ستؤدي عملها وهو بجوارها؟.. كيف ستستطيع السيطرة على قلبها في
وجوده؟..





هل من الممكن أن يشعر بما تخبئه!.. هل شعر به قلبه!.. هل تذكرها؟..
وهل وهل ... أسألت كثيرة .. ولكن ما أشعرها بالحيرة حقًا .. هل قرأ رسالتها
قديمًا أم لا؟!..

لا تريد أن تعرف شيء.. هي فقط ستنتهي شهور طلبها هنا وتغادر مرة أخرى
تاركة، لو الوطن بكل ذكرياته ..
كانت عازمة على هذا.. وقرارها هذا جعلها تكتسب بعض القوة .. وغضت بعد
تفكير طويل انتهى بأنها ستحاول تجنبه قدر الإمكان ..





صباحا في المشفى .. كانت تردي زيتها الطبي، وتمارس عملها كما يتطلب منها فعله، سمعت الهاتف الداخلي لمكتبها يدوي فرفعت السماعة وردت بعملية: " ألو .. "

" صباح الخير دكتورة إيلاف "

كانت هذه الكلمات كفيلاً ببعثرة دقات قلبها، كلمات عادية للغاية وإنما لمسامعها هي، كانت كزقزقة الفراشات وقت الشروق ..
ازدردت ريقها وردت بثبات كاذب: " صباح الخير دكتور رائف .. بماذا أخدمك؟! "

" هل يمكنك المجيء لمكتبي لدقائق "





تنهدت .. وقالت: " حسنا .. سأتيك في الحال "

وأغلقت وتوجهت من فورها لمكتبه وتدعو من كل قلبها أن تنتهي من هذا
اللقاء سريعا ..

تجلس أمامه ممسكة بأوراق تطلع عليها أخبرها أنها لحالة مرضية حرجية،
كانت تدس عينيها بالأوراق حتى لا تنظر له..

أما هو فكان ينظر لها بتمعن، يدرس سكناتها قبل تحركاتها، يقسم أنها
تخفي شيئا .. ولكن ما ماهيته .. لا يعلم..





تكلّم بهدوء: " نظرت في ملفك .. وجدت أنك كنت تدرسين بجامعة
العاصمّة "

هنا رفعت رأسها تنظر إليه بغرابة ..

أجابت بخضوت، تعود لأوراقها: " نعم كنت أدرس بها "

ساد صمت قليل بينهم قطعه هو مرة أخرى، قائلاً: " أتعلمين .. "

رفعت نظراتها في تجاوب معه لما سيقوله..

فوجدته يكمل: " كنت أقوم بالتدريس في هذه الجامعة "

زادت دقات قلبها فمنحنى الحوار بينهما لا تريده أبدا ..

أخفضت نظرها للورق ثانيةً، وقالت دون النظر إليه: " أعلم "





التفت لها بكامل انتباهه وقال متسائلاً: "هل تقابلنا من قبل؟"

رغم تفاهة السؤال، ورغم اعتياده، إلا أنه ألمها بطريقة لا توصف .. أجابت
بغصة تحكمت من صوتها دون أن ترفع نظرها إليها ..

" لا "

نهضت من مكانها ممسكة بالورق، وقالت قبل أن تتحرك من مكانها لتغادر:
سأدرس أوراق هذه الحالة .. وسأبلغ حضرتك بالتقرير اللازم "
وغادرت تحت نظراته دون التفوة بأي كلمة أخرى





تمر ثلاثة شهور واقتربا بهما على المحك، حين تجد أن الحدود بينهما تتلاشى،
تعود وتضع حدود أكبر،

تكاد تقسم أنها في أوقات معينة كانت تريد الاعتراف بحبها له، ولكنها
كانت تضييق لنفسها حين تخبر نفسها أنه بالتأكيد له حياته ..

وكم ودت كثيرا معرفة المزيد عنه وعن حياته .. وخاصة المكالمات
الهامسة التي يقوم بها .. تظنه يحدث زوجته ولكنها لم تجد خاتمه زواج في
يده، تعود محدثة نفسها أنه من الجائز أن يكون من الرجال الذين لا يفضلون
لبس مثل هذه الخواتم ..





أما هو فكان طوال الفترة الماضية يحاول جاهدا أن لا يشغل باله بها .. وخاصة
مع جفاءها الملحوظ معه، ولكن هناك ما يجذبه إليها بطريقة غير طبيعية..
كثيرا يُرجع هذا لغموضها الذي لم يستطع كشف شيء منه.. ولكن روحها ..
روحها بها شيء عجيب .. وكأنها شفاقة للغاية.. رغم غموضها.. أصبح يقرأها
بسهولة .. ويقرأ ردود أفعالها بسلاسة ..

إلا ماضيها والأشياء الخاصة بها، لا ينسى أبدا احمرار خديها حين يثني على
عملها.. وكأنه تغزل بها وليس ما قاله سوى كلام عادية في ظاهرها ..
ولكنها تترك أثر شهوي على خديها تجعله تذوق شهيتها هذه.. لعن نفسه للمرة
المائة .. موبخا نفسه ..





" ما بكَ رائف .. وما هذه الصبيانية التي أنت فيها .. أفق لنفسك لقد تخطيت
الأربعين يا رجل "

أفاق من حديثه لنفسه، هاتفه الذي أضاء برقم المربية الخاصة بابنته .. تريد
أن تغادر مبكرا اليوم لسبب طارئ لديها.. وأخبرها أن تأتي بابنته لها ..
استقام وغادر مكتبه ليستقبل ابنته، ولكنه في طريقه تم إيقافه من قبل
ممرضة تخبره ضرورة المرور على حالة مرضية حالا ..





أما هي .. فكانت تخرج من مكتبها لملاحظة بعض الحالات المرضى .. هبطت
للتابق السفلي .. وأثناء مرورها .. اصطدم بها كتلة طفولية كادت الطفلة أن
تسقط؛

ولكنها مدت يدها وأمسكتها سريعا .. وجدت وجهها أحمر من الجري
. نظرت لها قليلا .. إنها طفلة جميلة .. عينيها بلون السماء .. وشعرها أسود،
وملامحها صغيرة بيضاء، ناهيك عن حمرة خديها الطفولية .. وتحمل على
ظهرها حقيبة طفولية صغيرة انحنى لتنظر لها جيدا حيث أصبحا وجههما
متقابلان

" إلى أين تذهبين يا صغيرة ؟ "





قلبت الطفلة عينيها يمينا ويسارا، واقتربت من وجه إيلاف أكثر، وقالت هامسة
وكأنها تخبرها سرا ..

" أتيت لأزور بابا "

" بابا ؟! "

قالتها إيلاف هامسة هي الأخرى، وكأنهما يخططان لحرب عسكرية ..
فأومأت الطفلة مغمضة عينيها وكأنها إشارة للمؤامرة .. ابتسمت إيلاف بسعادة ..
فهذه الطفلة شقية حقا .. سألتها ثانية ..

" حسنا .. ومن هو بابا ؟! "

" أنا "





كان هذا الصوت الذي تحفظه جيدا، بل تعشقه جدا، يأتي من ورائها ..

اعتدلت واقفت لتنظر إليه:

" ابنتك ؟ "

" نعم "

بقدر حبها له .. وعشقها للطفلة الذي غرس بقلبها من لحظة رؤيتها .. بقدر
كرها لنفسها في هذه اللحظة .. وكم علمت مقدارها جيدا في هذه اللحظة
.. لم يكن لها وجود .. ولن يكون ..

نظرت له بآلم:

" إنها جميلة "





وتحركت لتغادر من أمامه .. فأوقفها مناديا:

" دكتورة إيلاف "

التفتت له، وعينيها تحكي وجعها ..

" هل أستطيع طلب أمر ما منك ؟ "

تنهدت وقالت بدون وعي:

" لك كل ما تريد "

انتفض قلبه العجوز الذي لم يشعر هكذا من قبل، كان عجوزا بفعل الأيام
وبفعل عدم إحساسه بمثل ما شعره في هذه اللحظة، ولا يعلم لما ولا أين ولا
كيف يشعر ما يشعر به تجاهها في هذه اللحظة ..





قال مأخوذاً:

" هل أستطيع ترك حور معك لقليل من الوقت ؟ "

علمت أنه يقصد ابنته فأومأت له .. وابتسامته صغيرة وجهتها للطفلة .. ومدت لها
يدها بدعوة لتأتي .. وسرعان ما لبث الطفلة الدعوة بمرح ..

في غرفة مكتبها .. كانت تجلس على الأرض وبجوارها حور .. وأمامهما طاولة
صغيرة .. وضعت إيلاف عليها ..





عدة أوراق بيضاء وأقلام رصاص، وأقلام تلوين خشبية كانت تحتفظ بها في حقيبة ظهرها ..

واندمجا الاثنتان في الرسم والتلوين؛ حتى التفتت إيلاف لرسمته حور والتي أثارت دهشتها قليلا، الرسم كانت عبارة عن رجل ممسك بيده طفلة صغيرة .. وفقط !!..

وأين والدتها من الرسم .. سألتها إيلاف بتعجب لم تقوى السيطرة عليه؛

" لماذا لم ترسمي ماما يا حور ؟! "

لم تلتفت لها الطفلة وأجابت وهي ماتزال تخط بيدها ألوان رسمتها؛

" حاولت من قبل ولم أستطع رسمها "





زادت دهشت إيلاف:

" لماذا لم تستطيعي رسمها ؟! "

" لأنها عند ربنا "

أجابتها الطفلة ببراءة أوجعت قلب إيلاف كثيرا، مما جعلها تختنق ببكاء
وحاولت مداراته .. هتفت بمرح لتخرج الطفلة ونفسها من قبل:

" ما رأيك أن نزين هذه اللوحة العظيمة ؟! "

ابتسمت الطفلة وسألت:

" كيف ؟! "

" سأريك "





بعد يومين جالس في غرفة نومه .. لا يعلم لما لم ينسى ملامحها .. لم نظرة
الألم بعينها لم ينساها!..

تؤلمه بنظراتها وعملياتها التي أصبحت في زيادة منذ رؤيتها لابنته ..
نبرة صوتها حين قالت:

" لك كل ما تريد "

يا الله .. رغم الألم في صوتها ولكنه استشعر شيئاً آخر .. وكأنها تقول له:

" ملك يمينك "





ماذا بها يجعلها هذا الخليط الرائع الجذاب لا ينكر انها جميلة بالطبع ..
جمالها هادئ .. وملامحها ناعمة .. ولكن ما بها أبعد من الجمال الشكلي ..
وكانها اختزنت كل مشاعر حياتها لتصوغ بها الهالة حولها .. زفر بضيق مما آل
إليه تفكيره، أصبح ينتظر رؤيتها على أحر من الجمر ..
أصبح يتحجج كثيرا لسمع صوتها، بالنهاية أصبح يعيش مراهقة متأخرة،
ويعيش مالم يفترض به أن يعيشه ...
زفر ثانيةً بضيق من نفسه وما أصبح عليه ..
هز رأسه يمينا ويسارا وكأنه يطرد تفكيره بها، وقرر المرور على ابنته
للاطمئنان عليها ..





فتح الباب ودخل بعد أن طرق قبلا، ودخل قائلاً بمرح:

" ماذا تفعل أميرتي الصغيرة "

كانت تجلس على مكتبها الصغير .. وبيدها أحد أقلام التلوين،

رفعت الطفلة رأسها لتنظر لوالدها وقائلة بابتسامة:

" أرسم إيلاف يا بابا "

زادت نبضاته بمجرد سماع اسمها .. دلف أكثر للداخل في ترقب لرؤية أي شيء،

أي شيء يخصها أو يتعلق بها ..





وصل لحافتي مكتبها ونظره يسبقه .. وجدها ترسم صورة فتاة بشكل طفولي
ولكن لحظة !! ..

ما لفت نظره ليس الرسمة .. وإنما القلوب الصغيرة والورود التي زينت الرسمة ..
سألها بترقب:

" من رسم هذه القلوب والورود يا حور ؟ "

ابتسمت الطفلة وقالت بمرح وانتصار:

" أنا "

همّ ليتحدث ولكنها قاطعته:

" إيلاف علمتني "





" علمتك !! "

قالها بدهشة .. وترقبه يزداد .. ويحاول تكذيب ما يخبره به قلبه..

" نعم بابا علمتني .. انظر "

قالت كلمتها الأخيرة وتسحب الرسمة التي رسمتها برفقة إيلاف ..

نظر رائف للرسمة وقلب يكاد يجن قفزا .. غير معقول .. هل مجرد تشابه!..

أمسك الورقة بين يديه وعينيه تتابع الرسوم الصغيرة التي رسمتها .. وكأنه يريد التأكد ..

فسألها:

" هي من رسمت هذه ؟! "





"نعم هي"

الآن فقط علم .. الآن فقط علم ما بها .. الآن فقط علم بغبائه.. ترك الورقة
لابنته وذهب لغرفته .. بدأت يده تبحث في حقيبة متوسطة الحجم تضم
ابحاثه القديمة ..

وكل أوراقه التي تخص فترة التدريس.. كانت يده تبحث وتبحث، حتى
تسمرت مكانها بخوف.. وترقب.. وشوق وهذا ما أدهشه..

تحركت يده ببطء حتى وصلت لمبتغاها، سحب الورقة وفتحها وجلس على
الأرض بأريحية ..





وقلبه يكاد يقفز شوقا وترقبا.. وعقله لا يسعه لتصديق ما سيحدث.. فتح
الورقة المطوية بعناية..

عيناه بدأتا تقرأ الكلام المكتوب بخط أنثوي، رقيق..

كان يراقب القلوب وكأنها تنبض أمام عينيه تخبره بحبها له.. يراقب الفرشات
وكانها تطير، تتحرك بخفة، تتراقص على شدو حروفها..
شعر بنبضه يعلو وكأنه يشارك رسومها النبض..

بعد أن انتهى من قراءة كلماته، طوى الورقة بعناية وأعاد الحقيبة لمكانها..
واستقام من مكانه وداخله عزم شديد أن تكون المواجهة بينهما قريبة..
قريبة للغاية..





في اليوم التالي ذهب لعمله قبل مواعده.. هو لم ينم من الأساس.. طوال الليل
يقرأ ويقرأ ويعيد القراءة كلما انتهى..
وكأنه يوشم حروفها داخل عقله وعلى جدران قلبه.. تنهد بسعادة .. وتحرك
متجها لكرسي مكتبه..

جلس وأمسك الهاتف الداخلي لمكتبه و هاتفها:

" دكتور إيلاف .. هل يمكنك المجيء لمكتبي .. أريدك بشيء هام "





ومع أمره العملي استقامت، ولكن دقائق قلبها لم تستقم، تشعر بتغيره منذ فترة..
نظراته بالأخص .. بكل مرة كان ينظر لها.. وكأنه يراها للمرة الأولى.. وهذا
خطأ.. وخطر.. خطر لها وعليها.. وعلى قلبها..
قلبها الذي يصرخ عشقا له بكل مرة يراه ..
تنهدت بقلته حيلة وتوجهت لسبب عذابها..

"أريد منك كتابة هذا التقرير الآن"





" حسنا سأكتبه بمكتبي.. "

قالتها تريد الهرب منه ومن نظراته التي قرأت بها شيء جديد اليوم.. هو كله
به شيء مختلف.. هدوئه.. نظراته.. نبرة صوته المرتاحة.. وملامحه
المسترخية.. وتلميحاته ..

" لا "

قالها قاطعا، وأكمل بهدوء مُتعمد..

" أريدك هنا .. أمامي "

ازدردت ريقها بصعوبة، غير قادرة على تهدئة قلبها ..

ماذا يفعل بها؟! .. هل يتفوه بأي شيء هكذا غير واعي لما يفعله حديثه ..





كانت في صراع لذيد، منعش لها ولقلبها، ولكن الواقع شيء آخر..
جلست أمامه تحاول التركيز عبثا كان، ويمليها ما سيُكتب.. ويناقشها ببعض
النقاط..

ساد صمت بينهما لدقائق كانت تستغلها من نقل بعض التعليمات الخاصة
بالحالة المراد كتابة تقرير عنها..

" هل تؤمنين بمعجزات الحب ؟ "

شهقة صامتة انطلقت من بين شفتيها، لم تصل لمسامعه ولكنه استطاع رؤية
توتر القلم بيدها.. لم تنظر له..

وأجابت بهدوء جاهدت الحفاظ عليه ثابتا:





" المعجزات موجودة بكل شيء.. وأقرب دليل مجالنا كأطباء .. يوجد حالات

شفاء كثيرة لا تمت للطب بصلته.. فلا تستهين بالمعجزات "

ابتسم لردّها الذي وصفه بالمراوغة، وسكت لدقيقة أخرى .. ظنته خلالها أنه

اكتفى ولكنه خيب ظنّها حين هتف:

" لماذا لم تتزوجي الآن إيلاف؟.. "

أغمضت عينيها بتعب وهتفت:

" هذا السؤال لا يندرج تحت آداب الحديث "

وبخته ويستحق .. ولكنها مغلقة .. غامضة .. وكأنها تريد ألا يعرف من هي

وماذا تخبئ..





لم يهتم لتوبيخها .. فأعاد تعليقه:

" الرجال حمقى لأن لم يستطع منهم واحدا أن يسجنك داخل قلبه "

هل تغزل بها ؟! .. أم خيالها من سول لها هذا الحديث!.. تنفست بتتابع لعلاها
تهدي من نفسها .. واستقامت ممسكة بالورق .. والتفت تواجهه قائلة بمغزى:

" هم حمقى فعلا "

تحركت للباب لتغادر وقبل أن تخطوا للخارج ..

قالت:

" سأنهاي التقرير بمكتبي "





وغادرت .. أما هو .. فابتسم بسعادة .. تنهد شاعرا بتخمة من المشاعر تملؤه رغم
أنه تم توبيخه هو وجميع الرجال .. ولكن هذا لا يهم ..

" أين كانت غائبة عنه !! "

وتمر الأيام بينهما مليئة بعث جديد عليه، استنكره بالبداية بسبب سنه
وشيبته؛ ولكن الفرصة جاءت وسيتمسك به حتى وإن تخطى الستين..



فرض حضوره عليها وعلى تفاصيلها.. كان يرى لينها معه ببعض الأحيان،
وشدتها وحزمها في أحياء أخرى؛ وكأنها تخشى التقرب منه، أو تخشى أن
يتقرب هو أكثر..

ولكنه جُن حين علم بطلبها من مدير المشفى صباحا.. طلبت أن يتم إعفائها
من باقي فترة انتدابها هنا.. المجنونة قررت أن تنسحب، ولكنه لن يسمح لها..
توجه لمكتبها.. فتحه ودخل بدون استئذان.. وأغلق وراءه مما سبب لها الفزع،
والدهشة.. والخوف من قربه الذي أصبح في أقصى درجات الخطورة:

" ماذا تفعل هنا .. وكيف تسمح لنفسك الدخول هكذا ؟ "

لم يعير توبيخها أي اهتمام .. ورد بسؤال آخر:



" هل ما سمعته صحيح ؟ "

" وماذا سمعت ؟ "

قالتها بلا مبالاة ..

فأجاب:

" تريدین ترک العمل "

حسنًا لقد علم .. ولكن لا يهم .. بالنهاية كان سيعلم .. ولكن موقفه هذا لا
يُفسر ..

فأجابت:

" نعم .. ولم تعجبك هذا؟ .. أنا لم أرتح هنا "





سكتت تراقب ملامحه التي شقتها ابتسامته .. ابتسامته عارفت !! هو يعلم ؟! .. لا
لا لا بالتأكيد هي تتوهم ..

ولكن أي نفي أرادته انتهى، مجرد أن نطق؛

" كاذبة إيلاف "

كانت تنظر له بتمعن ودقات قلب ثائرة؛

" تريد الهروب "

(يا إلهي) همستها داخلها لقد علم وكان ما كان .. ارتبكت وتوترت ..

وتوجهت للباب تفتحه وتأمره بالمغادرة ..

تطرده بمعنى آخر؛





" غادر الآن "

اقترب منها أكثر، وأمسك بمقبض الباب من فوق يدها.. وحين لمس يدها شعرت بنار الحب داخلها تتقد أكثر وأكثر.. حاولت سحب يدها، ولكنها كانت مهمة صعبة للغاية بسبب قبضته على يدها ..

أمسك يدها بيده الأخرى بعد أن حرر مقبض الباب من أصابعها.. وأغلق الباب ثانية.. مقترباً منها أكثر وأكثر.. وكانت تتراجع كلما خطى إليها حتى التصقت بالحائط من ورائها،

هتفت بتلعثم:

" ما .. ماذا تفعل ؟! "





" سأمنعك إيلاف "

قالها بإصرار .. ينظر لعينيها بعمق؛ وكأنه يأمرها بنظراته أن لا تحيد بعينيها عنه ... وهل تقدر ؟! ..

" لما تهربين مني ؟! "

هزت رأسها تنفي،

فقال بإصرار وكأنها يقرأها أكثر من اللازم:

" تهربين مني، وكأنك تتخيلين أني سأقبل بهذا "

كانت تنظر له وكأنها لا تصدق ما سمعته.. وكأنها تطالبه بتفسير أكثر..

فلم يبخل أبدا:





" لن أسمح لكِ بالبعد بعد أن أصبحتِ كل الدنيا "

اغرورقت عينيها بدموع لم تجد لها مسمى..

" كانت معجزة أن تعودى إيلاف.. "

" أعود !! "

همستها مذهولت، وكأنها تُكذب أحاسيسها المسبقة بعلمه عما تكنه له من

البداية .. منذ سنين مضت ..

" نعم إيلاف تعودين .. هل تتخيلين أني سأظل أجهل من أنتِ لأكثر من هذا ؟! "

وضعت أطراف أصابع يدها الحرة على شفتيها، تمنع شهقتها من الخروج ..

وهتفت من تحت أصابعها:





" منذ متى وأنت تعلم ؟ "

ابتسم .. وأمسك بيدها المرفوعة لضمها، وبدوره رفعها لشفتيه قبل موضع
شفتيها على أصابعها..

" لقد تسلفت لقلبي العجز بدون سابق انذار .. قبل حتى أن أعلم من أنت ؟ "

ابتسمت وهمست بأمل:

" حقاً ؟ "

أوما مبتسما:

" نعم .. وجدت قلبي وكأنه عاد للنض منذ سكنتيه دون الشعور مني "





ابتسمت بدورها ، غير مصدقة لما تسمعه ، وجدته يحرر إحدى يديه ، ويمد يده
لجيب بنطاله ، يُخرج ورقة قديمة نوعا ما .. كانت نبضاتها في تسارع وكأنها
بسباق ، كانت تراقبه يفتح الورقة أمامها ..

وسرعان ما تعرفت إليها .. كانت دمعاتها تُذرف من فرط تأثرها..

وهمست بتعجب:

" ما زلت تحتفظ بها ؟! "

أجابها بصدق:





" لم أتخلى عنها أبدا .. كانت ترافقيني أينما ذهبت .. وكثيرا كنت أخرجها
أقرأها وأتذوق كلماتها .. وأتساءل أين هي هذه المجنوننة بي الآن .. مع الوقت
غضلت عنها .. ولكنها لم تغب عني .. "

سكت ينظر لعينيها بتمعن أكثر .. وهمس:

" لم أتذوق الحب قبلا إيلاف "

أوجعها إحساسه .. ورغم ذلك شعرت بالسعادة، لأن أول شعوره بالحب كان
معها ..

فهمست بدورها:





" وأنا لم أشعر بالحب سوى معك أنت.. حتى وإن كنت غير موجود بحياتي..

ولكنك كنت موجود دوما بقلبي "

هل يمكن أن يكون هناك سعادة أكثر من شعوره!.. بالتأكيد..

فهمس مسترجعا موقفاً بعينه:

" ولم ترتبطي لهذا السبب ؟! "

ابتسمت هي الأخرى .. وقالت تبوح بمشاعرها:

" لم أقوى على الاقتران بأي شخص.. كان حبي لك بداخلي أقوى من

المفروض.. حبك وشم قلبك وجعله يصم الشعور عن أي أحدا آخر..



لم أقوى ولم أستطع التفريط فيك؛ حتى وأنت كنت وهم لعقلي كما كان
يخبرني.. ولكن قلبي.. قلبي وكأنه خلق لك وليس لغيرك.. ولذلك "

سكتت لحظة، وأكملت بابتسامته مشاغبتة؛

" ببساطة .. لم أستطع "

ابتسم بدوره، ورفع يدها ثانية لضمه وقبل باطنها ..

وهمس ينزع حقه بها، وحقها أولاً؛

" هناك أحرق محظوظ قرر التخلي عن حماقته.. وقرر سجنك داخل قلبه

حبيبتي "

كلماته جعلتها تشدو وتغني، وتزقزق كما العاصف من شدة سعادتها..



سمعته يُكمل:

" تزوجيني إيلاف "

لم يكن طلب.. كان أمر.. ولكنه أمر لذيذ .. ممتع .. مشاغب.. مليء بالرجاء..
وكأنه لا يقوى على بعدها أكثر..

أومات موافقة مبتسمة ببلاهة، وكانت البداية لوشم أكبر من السعادة
لقلبيهما ولحياتهما سويا..

وكان كل منهما أراد إثبات ملكيته للآخر..





تمت

٢٠١٨ / ١١ / ١٢

